لمّا القمر بيغيب

مقطوعات بالعامية



أيمن عبد المعطي

لمّا القمر بيغيب

مقطوعات بالعامية

أيمن عبد المعطي

إلى "حورية" إبنتي

.. ننين عيونك قمرين نونو ..

والفرق مش في الألوان..

....

إلى "حورية" أمي

وإيه العمل لمّا القمر يغيب على طول؟!!

القمر برضه بيخاف زيّنا، وبينكمش م السقعة جوّا البيوت .. وبيرتعش م الخوف لحظة غروب الشمس .. وبيتنفض م الخجل لمّا تهمسله ف ودنه بكلمة حُب.

وبتيجي عليه أوقات يقف قدام البحر يعيط، وقدام الناس بيداري حزنه في السكوت.

لكن الشيء الوحيد المختلف فيه عننا، إنه رغم المحاق بيرفض يموت.

أول مـا بفـتح شـباكي، بلاقيـك باصصـلي بحـزن كالعادة .. يوم الوصول إليك أصبح محال!

لمّـا يجـود علينـا الـزمن ويمسـح دموعنـا بكفوفـه الخشنة، ها تكون حبال الوصال بينّا وبينه إتقطعت. والعمر ها يكون زي ورق الشجر، مفروط ع الأرض ... دبلان وناشف، ناقصه يدوب ولد وبنت يدوسوا عليه، علشان يتهرس مع التراب المبلول ع الأرض برطوبة جو الشتا، ويكملّوا مع بعض قصة غرامهم، اللي يدوب عند باب المترو حتنتهي مع كلمة وداع، ودموع فراق ما لهُمش طعم.

القمر مابيكتملش غير ليلة واحدة و"ليلة واحدة ما تكفيّش"[1] ... كان نفسي من زمان أكتب قصيدة للقمر يوم اكتماله، لمّا يجود عليّا بنوره ويبتسملي. للقمر اللي ما تعبش لفْ في الحارات والجبال والبحور ... البحور !! .. بتناديني للغميق ... بدون رفيق يونّس غرقتي ـ للقمر طعم تاني في بحر فايد ـ، يا قمر ما تغيبش بدري، لسة صدري بيشهئك، بيشتهيك قلبي الضعيف.

يـــا قمر ..... ندهت ما سمعني!! وكان وقتها بيغيب في البر التاني وبتطلع بكل آلاطة أرخم مخاليق الله الشمس.

١ من أغنية مد منـ بعنوان "ليلة واحدة" كلمات الشاعرة /كوثر مصطفى

كان القمر ف ليلة سهر، واقف بيتعاجب. لفيّت كل الدروب ألملم نوره من ع المصاطب. بعتر ضياه ف كل حتة ويمة، ولقيتني مجرد حبيب واقف ف وسط اللمّة .. وكل اللي واقفين برضه مجرد حبايب.

كان القمر سارح ف ملكوته. رميت نفسي ف سكته، وثبتْ عيني ف نظرته، كانت دموعه قريّبه. حسيت إنه كان عاوز يقولي حاجة. طبطب على كتفي وضمني .. بعدها سابني وراح لبعيد. ومن ساعتها وانا نفسي أشوفه، عشر سنين وانا قاعد زي منت شايفني كدة .. مستنظره.

يا هلتري يسعفني عمري لملتقاه؟!

ولاّ بتاخدني الخطاوي لمنتاه؟!، وفجأة الزمن ينساه وينساني!!

كان القمر بيبُص من فوق على سطح البيـوت، وفي الشارع كـان مخنـوق بـين البنايات العالية والكباري. القمـر دايمـاً محـدد نظرتـه في اتجـاهي، أنـا كنـت صاحبه الوحيد ع الأرض، كان .. بيطلعلي لوحدي!.

ها وهبلك عمري الجاي كله، وأجمل ما في العمر الرايح لو حبيت.

ها كتبلك كل ميراثي من الأحلام، وها آمنك على كل الأسرار.

ها نسبلك كل انتصاراتي، واتجرع وحدي مرارة الانكسارات.

وها قسْم بيني وبينك كل الكون، تاخد كل الحب اللي في قلوب الناس، وينوبني م القسمة الأحزان.

بس إوعدني إني أصاحبك مشوارك، وما تفوتنيش استناك كل المرات لمّا يهل هلالك، وتعذبني من تاني، لما تعيد، كل ما تِكمل، سفرك اللي بيجعلني وحيد.

بعشقك .. وانت؟!

عـيني ف عينـك كـدة .... مـين فينـا اللـي بـيحن للتاني بجد؟

أوعدك بالسهر ... توعدني بالاكتمال؟!

بريق وشك ... ما عاشلك.

هتنّك مسافر على طول كده وحدك م الهلال للمحاق؟!

الفضا مهدك، والكون مش بس سماك.

إلاك ما حبِش، ليه بقى هواك ما بيردش؟

أنا حضني يساع اللي جاي كله، والكون بيرتاح في ركن من ضله.

أعرفك من زمان، وما تعرفنيش أنا!

أرضي ملكي وليك سماك؟!

يعني برضه لازم نفترق؟

صدقني ما لكش إلا أنا، وماليش سواك.

كان القمر بياض محلوب، وانا فُقت كل القلـوب ف محبتـه. يـا مـين ينـولني دمعتـه، أبـل ريقـي وأصـير أنـا المحبوب.

بعرفك من بين ميت مليون قمر. أبيض حليب، بتكون حضني في الوقت الصعيب. وساعة البكا بتكون قريب، ودايماً حبيب. لكن بستغرب لمّا بلاقيك، برغم عشاقك اللي م البشر ياما، قاعد وحدك في ركن عتمة وكأنك غريب!!

لمّا القمر بيغيب .. بقفل بيباني وشبابيكي .. وبا غـني ونـا مجـروح ليكـي .. قلـبي العليـل محتـاج لطبيب.

كان القمر متعشم ف عنيّا الدموع، وكأنه كان رايح ومش ناوي الرجوع تاني .. كان لازم برضه أطيب خاطره بكلمتين .. كان لازم ممشهّوش زعلان مني .. كان لازم يحس بحضني براح للنور اللي طالل منه .. كان لازم يحس بإن اكتماله مش مصادفة في لحظة لُقانا الأخيرة.

تعرف إيه اللي بيوجعني ويأثر فيّا بجد؟ لمّا نبُص لبعض .. وشي ف وشه، ونبحلق جامد في عيون بعض، ومشاعرنا من جوانا تتشد. وفجأة تمنعنا بُعد المسافة، لما نعيط، إننا نترمي ف أحضان بعض.

هقعـد بقيـة عمـري أعـد في الليـالي، واسـتنى يـوم الوصول إليه، وأتمنى لو تُحضن دموعي عنيه.

في يـوم كـان القمـر مختفـي، وبكيـت لمّـا إسـتويت لحدْ لحظة مقدرتش فيها أفرق بـين دمـوعي والمطـر، شيء سخيف جداً إنك متقدرش تفرّق بـين دموعـك وبقية الحاجات.

حلمت يوم بالكون ضلام من غير ومضة شعاع واحد تعكر سواده. صحيت بعدها لقيت السواد لافف عنيني. خطر على بالي وقتها، وسألت نفسي .. إيه اللي بشتهيه فيه، بياضه ولا بعاده؟!

ظل السؤال بايت لحد الليل، لمّا بصيت لفوق لقيته مخنوق وسط الغيوم، وكنت وقتها بشهق شهقتي الأخيرة.

في مكـان مخيـف زي ده، والسـاعة تعـدي اتـنين بالليل، .... وكمان مفيش قمر!! تفتكر ممكن تشعر بإيـه .. غـير إنـك عـاوز تبكـي .. يمكـن صـوت النهنهـات يخلقلك حالة ونس.

أبكيـك ولاّ اشـتهيك ... اشـتاقت ليـك، واحتـار السـؤال ويايـا والـرد مـا بـيكملش .. إنـت ليـه كـل مـا بتكتمل، بترجع وتنقص تاني لحد ما تنتهـي في السـما الزرقا؟!!

يا هلال وهل من غير عيد. يا هلال وهل بعيد عن حينا، العتمة نابتة ف ضينا.

قمر ومحتاجني

م الحزن قام خدني

ومن وقتها وانا

لا سبته ولا سابني

قمر وندهلي

رديت على مهلي

رماني بنظرة حزن

وفجأة دمعلي

قمر وحبيته

بكاني وبكيته

وفجأة غاب وانطفيت

لا جاني ولا جيته

قمر وعنيه بريئة

ودموعه صافية وبريئة

سألته بكل اندهاش

ده الكذب ولاّ الحقيقة

قمر ومتمني

عصفور ونفسه يغني

العمر راح ولاّ

الحلم مستني

قمر وعشقته

دوبني دوبته

ولمّا حان الفراق

بخرني وبخرته

قمر ورا سحابة

دي غيمة ولاّ كآبة

رد عليّا بضيق

ملعون أبوها الرتابة

القمر برضه حزين في السويس .. زي ما هو حزين في شبرا .. القمر حزين في كل وقت .. القمر مالوش في الفرح بخت.

يا قمر مخنوق في فايد .. يا قمر وغاب في شبرا .. يا ترى شكلك إيه في إسكندرية؟!

غريق .. وكان نفسه يتشعلق ف صوت كروان، كان نفسه يتشعلق في رمش صبية.

قمر غريق ...

.. وكان نفسه ساعتها يعيش.

هـا تمـوت أكيـد .. هـا تمـوت صـح .. أكيـد هـا تموت؟!

طب قولي ها تموت في الفجر ولاّ ها تموت في المغيب؟

ها تموت م السعادة ولاّ ها تموت م النحيب؟

ها تموت في وسط الناس ولاّ ها تموت لوحدك غريب؟

ها تموت أكيد .. ها تموت؟! فلو أمكن ما تموتش فطيس، بعتر ضياك ع الكل وخلينا نعيش.

أحيانا بيقى النيل مش راضي عن اتجاه سيره.

اندهش لما فاجئته كعادتها وهو سرحان ف عنيها، قولي: "يشبه ف إيه قمر الفراق قمر اللقا؟"

اتذكر وقتها إنه من عشر سنين كان مواعد نفسه يبكي لوحده، ومن ساعتها وهو حاسس بالزحام. بص ف عينيها بتحدي وقالها: "يشبهله في الإحساس" ...

وقتها كان حاسس إنه متعلق لفوق من رقبته، واتذكر حكمة أبوه اللي ما شبعش لسّه م الغياب "أوصيك يا بني وحط كلمتي زي الحلقة ف ودنك .. الدنيا كلها أزمات وما هينجدك غير صدقك"

فجأة صبح المكان ما فيهوش حد غيره حاضن خدوده ما بين إيديه وسرحان ف نفس المكان اللي كان كانت فيه عينيها.

وبالرغم من إني كنت برّة الصورة لكن حسيت إني وحيد وبردان قوي.

طاب القمر واستوى. شبيت براسي لفوق .. فوق .. ونطيت لأعلى مستوى في حدود الكون .... ما طلتش أبوسه.

كانت قاعدة قدّامي بشبابها والصهد مزنهر وشّها، زغدتني بأول رغيف طالع، فوقعت من سابع سما لفوق السطوح جنبها ... لمحِت عنيّا ف عنيها مدمّعة، فتبسّمِت ... رُحت على طول مرمي ف حضنها.

عمركش شُفت قمر إسود؟! ... دي كانت أمـي ليلـة أبويا ما مات.

لوحدها قاعدة بتعد العمر انتظار للي أكيد مش راجع. كانت السما مواربة .. بس القمر مكسوف يطل. اتنهدت لمّا بصتله وفجأة ندهتله بصوت ما سمعهوش غيره .. يا عم هل، دانت الونس لما يغيب الكل.

الغريب إنه برضه فضل مكسوف من وحدتها لإنه كان عارف إنه كمان ها يغيب ومش عالم إن كان ها يرجع ولاّ ها تقعد ساعتها تغزل من خيوط الضلمة الكفن.

لو صادفت يوم بصيتي لفوق ولقيتي القمر بدر منور، تعرفي إني أكيد عايش في مكان ما في الدنيا.

ولو كان مخنوق يبقى أكيد ها كون مأزوم، ولوحدي.

ولو صادف ومطلعشي القمر في ميعاده .. ساعتها هاكون أصبحت في عداد الأموات .. وها تكوني مش من دمي بريئة.

كان القمر مخنوق لحد البوح، مخنـوق لحـد البُكـا.

كان القمر مخنوق لحد الموت. كان القمر .. واختفى.

سامحني ... حاول ...

بـا عـترف إنـي خونتـك، وعشـقت المـوت بـدالك.

قلبي كان أرق من إنه يستحمل غيابك.

يا بو وش فضة، خلاص .. العُمر اتقضى والسلام. ياما حلمت أكون كروان بينده عليك (الحب لك .. لك .. لك .. لك.) حلمت أكون حتى مجرد غيوم تقرب من حبابي عينيك. حلمت أكون مجنون بيسهرلك. حلمت أقابلك في البر التاني ساعة ما تبشر بيك المغارب. حلمت .. وصُبرت ياما ع البعاد، واللي بيصبُر ما بينولشي، وانت بعيد في العالي وإيدي ما تطولشي.

دلوقت إيه فاضل؟! ها قفل عنيّا خلاص على صورتك، فا تشعلق ف رموشي وحاول تفتحّها، وأُسكن بدال النّي وغنّي ...

لمّا القمر بيغيب   بيصير الحبيب غريب
لمّا القمر بيغيب   بتروح روح الحبيب
لمّا القمر بيغيب   بيموت قلب الحبيب

شكر وتقدير لكل من:

هاني فضل، نهاد عبد الغني، تامر فتحي، محمد عوف،

أحمد عبد المقصود

نسخة خاصة توزع مجانا

aaasyh١٩٧٠@yahoo.com